مجلة التفاني
Majallat Al-Tafani

المراكز التجارية الموحّدية ودورها في التبادل التجاري البحري
خلال القرنين 6– 7هـ/ 12– 13م

د: نجاة محمد مصباح سعيد.
مركز البحوث الاجتماعية ودراسة السياسات المعمقة.

ملخص

تتناول هذه الورقة المراكزَ التجارية في الدولة الموحّدية بوصفها عُقدًا محورية في شبكةٍ متكاملة من التبادل البري والنهري والبحري التي ربطت أقاليمَ المغرب الإسلامي (الأقصى، الأوسط، الأدنى) ببلاد الأندلس ودول حوض البحر المتوسط خلال القرنين السادس والسابع الهجريين / الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين. تنطلق الدراسة من فرضيةٍ أساسية مفادها أنّ المراكز التجارية الموحّدية لم تكن مجرد مرافئ للرسوّ أو محطاتٍ موسمية للقوافل التجارية، بل شكّلت منظومةً حضرية واقتصادية متكاملة ذات طابع مؤسسي وتنظيمي متقدّم، استوعبت بين مكوّناتها البنية المينائية والوظيفة السوقية والأطر الإدارية والرقابية، ممثلةً في أنظمة الحِسبة والأعشار والفنادق والقيساريات ودور الصناعة. هذه المؤسسات لم تؤدِّ فقط وظائفها الاقتصادية، بل جسّدت نموذجًا متقدّمًا من التنظيم الحضري الذي يجمع بين الوظيفة الاقتصادية والرقابة الشرعية والإدارية، في إطار سياسة اقتصادية موحّدية هدفت إلى دمج الأسواق المحلية وربطها بالمراكز الساحلية والموانئ الكبرى.

وقد كشفت نتائج البحث أنّ الموحدين أعادوا رسم الجغرافيا التجارية في الغرب الإسلامي من خلال تراتبيةٍ دقيقةٍ لمراكز كبرى مراكش، فاس، سجلماسة، سبتة، تلمسان، بجاية، تونس/المهدية، المرية، إشبيلية، مالقة، مرسية، وأخرى ثانوية مساندة، شكّلت جميعها شبكةً متصلة تسهّل تدفّق السلع بين الأقاليم الداخلية والمرافئ البحرية. وأسهم هذا التنظيم في مضاعفة حركة الصادر والوارد، وتحسين كفاءة النقل البري والنَّهري، وتيسير الانتقال من المسالك الداخلية إلى الواجهات البحرية، مما جعل التجارة الموحّدية أكثر انتظامًا وفاعلية. كما لعبت السياسة الأمنية والبحرية دورًا مهمًّا في استقرار تلك الشبكة، إذ حرص الموحدون على تأمين الطرق البرية والموانئ البحرية، وكبح التهديدات الإقليمية (كغارات النورمان وبني غانية والعرب الهلاليين)، بما أتاح مناخًا آمنًا لتوسيع المبادلات التجارية.

وتخلص الورقة إلى أنّ هذه المنظومة المتكاملة من الطرق والمراكز والأسواق لم تكن مجرد بنية اقتصادية؛ بل كانت تعبيرًا عن رؤيةٍ استراتيجية موحّدية هدفت إلى بناء اقتصادٍ مترابطٍ بين الداخل والساحل، وإلى ترسيخ وحدة المجال التجاري للمغرب والأندلس، ما جعل الدولة الموحّدية تمثّل مرحلةً مفصلية في تطور التبادل التجاري البحري في الغرب الإسلامي، وفاعلاً رئيسًا في ربط ضفّتي البحر المتوسط ضمن منظومة اقتصادية متجانسة ومستقرة.

.

Abstract

This paper examines the commercial centers of the Almohad state as pivotal nodes within an integrated network of land, river, and maritime exchanges that connected the regions of the Islamic Maghreb (al-Maghrib al-Aqṣā, al-Maghrib al-Awsaṭ, al-Maghrib al-Adnā) with al-Andalus and the countries of the Mediterranean basin during the 6th–7th centuries AH / 12th–13th centuries CE. The study is grounded in the premise that the Almohad commercial centers were far more than mere ports or caravan halts; they were comprehensive urban and economic institutions characterized by an advanced organizational and administrative structure that merged port facilities, market functions, and regulatory frameworks. These included the ḥisba (market supervision), ʿushūr (customs and taxation), caravanserais and qaysariyyas (urban trading complexes), and dār al-ṣināʿa (arsenals and industrial workshops). Collectively, they represented a sophisticated economic

system that harmonized trade, governance, and logistics, reflecting the Almohads' deliberate policy to unify inland and coastal economies under a single, efficient commercial order.

The findings reveal that the Almohads restructured the geography of trade through a clearly defined hierarchy of major and secondary centers—Marrakesh, Fez, Sijilmāsa, Ceuta, Tlemcen, Béjaïa, Tunis/Mahdia, Almería, Seville, Málaga, and Murcia—forming a coherent network that ensured the continuous flow of goods between the inland markets and maritime ports. This structure greatly enhanced the movement of exports and imports, optimized overland and riverine transport, and facilitated the transition from internal routes to the seaports, thus making Almohad trade more organized, efficient, and regionally integrated.

Furthermore, the Almohads adopted robust maritime and overland security policies to protect these routes and markets, successfully countering regional threats such as the **Normans**, **Banū Ghāniya**, and **Banū Hilāl Arabs**, which in turn fostered a climate of safety and confidence essential for commercial expansion. The study concludes that the Almohad network of **roads, markets, and trade centers** represented not only an economic infrastructure but also a strategic vision that aimed to integrate the Maghrebi and Andalusian economies into a unified system. In doing so, the Almohad state emerged as a decisive turning point in the evolution of **maritime trade in the western Islamic world**, and as a central actor linking both shores of the Mediterranean within a stable and interconnected commercial framework.

استلام الورقة: 2025-08-20 - قبول الورقة: 2025-08-27 - نشر الورقة: 2025-09-02

كلمات مفتاحية:

المقدمة :

تندرج هذه الورقة البحثية ضمن تاريخ الغرب الإسلامي الوسيط، وتحديدًا في سياق تحليل المراكز التجارية الموحّدية ودورها في تنشيط التبادل التجاري البحري بين أقاليم المغرب الإسلامي وبلاد الأندلس خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين. تنطلق الدراسة من فرضية أنّ هذه المراكز لم تكن مجرد مرافئ للرسوّ أو محطّات للقوافل؛ بل مؤسسات حضرية واقتصادية متكاملة جمعت بين البنية المينائية والوظيفة السوقية والأطر التنظيمية (الحِسبة، الأعشار، الفنادق والقيساريات، ودور الصناعة). ومن ثمّ، فهي عُقد محورية في شبكة التبادل البري والنهري والبحري، التي أعادت تشكيل الجغرافيا التجارية، ورسّخت التكامل بين المسالك الداخلية والمرافئ البحرية، وأسهمت في رفع كفاءة حركة الصادر والوارد.

تعتمد الورقة منهجًا وصفيًّا تحليليًّا مقارنًا، يُزاوج بين المعطيات الجغرافية الاقتصادية والشواهد التاريخية، ويستند إلى طيف واسع من المصادر العربية واللاتينية، بهدف إبراز تراتبية المراكز الكبرى (مراكش، فاس، سجلماسة، سبتة، تلمسان، بجاية، تونس/المهدية، المرية، إشبيلية، مالقة، مرسية) وصلاتها بالمراكز المساندة، وبيان أثرها في أمن الطرق والبحار بعد تحييد التهديدات (النورمان، بنو غانية، عرب بني هلال). وتكمن أهمية البحث في أنه يربط بين بنية المدينة المينائية ومنظومات التنظيم والأسواق، وبين تحولات القوة السياسية والاقتصادية في فضاء متوسطيٍّ شديد التنافذ.

ولكَون أقاليم المغرب والأندلس تطل على واجهتين بحريتين، المتوسّط والأطلسي، ومع تَعَرُّج السواحل وكثرة الخلجان، تبوّأت مدنٌ موحّدية عديدة مكانةً تجارية لارتباطها بمسالك التجارة وحركتها داخلًا وعالميًّا؛ فغدت مراكز اقتصادية وموانئ فاعلة، وأسهمت في مبادلات الدولة الموحدية في المغرب الإسلامي (الأقصى– الأوسط– الأدنى) والأندلس الخاضعة لحكمهم، فأمست محاور لتوزيع السلع داخل المراكز المشيَّدة في الداخل وعلى السواحل، ومنها تمّت المبادلات البحرية [1] (ابن خلدون: المقدمة، 2000، ص456، 457)، وهي:

أولاً- في بلاد المغرب الإسلامي:

مدينة مراكش: -

معناها بلغة المصامدة: أسرعِ المشي لأن موضعها كان مخوفًا على القوافل، فإذا انتهت إليها قيل أسرِعْ، وهي اليوم مدينة عظيمة بالمغرب، تقوم على مرج فسيح ذي غابة، وتفصلها عن البحر عشرة أيام. أُسِّست سنة (470هـ/1077م) على يد يوسف بن تاشفين «أمير المؤمنين» من الملثّمين، واستغرق بناؤها ثمانية أشهر، وبها سرير ملك بني عبد المؤمن [2] (الحموي: 1997م، ص94؛ الناصري، 1997، ص22،23؛ هارون، 1407 هـ/ 1987 م).

وبصفتها عاصمة المرابطين ثم الموحّدين حظيت باهتمام الخلفاء، فصارت مركز التجارة الداخلية بين الشمال والجنوب، وقَصَدَها التجّار بالبضائع [3] (حسن علي: 1980م، ص269)، وازدهرت المبادلات واتُّخِذت مقصدًا للتجّار بما حملوه من سلع راجت داخلها وأربحت أهلها [4] (الإدريسي: نزهة المشتاق، 1994م، ص234). وانعكس ذلك عمرانًا في المباني والمساجد والقصور والبيوت والسدود، ولا يزال الزائر يرى شواهد تلك النهضة [5]،(المصدر نفسه، ج1، ص233، 234؛ الحميري: (د. ت)، ص540).

وتميّزت بتنوّع أسواقها: زراعية كالزيتون وزيته [6](مؤلف مجهول الاسم: (د. ت)، ص210) ، وصناعية في «القيسارية» تتطلّب فسحات لمعدات كبيرة وضوضاء وروائح [7] ، (المصدر نفسه، الصفحة نفسها؛ الحميري: الروض المعطار، ص541)، وأحدثت أسواقُها وأسواقُ جوارها تبادلًا بين المدن والقرى ومراكش لسدّ حاجات الغذاء [8](مؤلف مجهول الاسم: ص210؛ المراكشي: 1994م، ص260)، وجلب المعادن من حوالَيها؛ فالحديد والفضة والذهب مثلًا وردت من فاس وإيگلي قاعدة السوس [9](البكري: (د. ت) ، ص161، 162؛ الحميري: الروض المعطار، ص71) .

مدينة فاس:

أضحت فاس مركزًا تجاريًّا مهمًّا لتموضعها الوسيط [10](الإدريسي: نزهة المشتاق، ص244؛ الحميري: الروض المعطار، ص434، 435)، على خطَّين: من سواحل المتوسّط (طنجة وسبتة) إلى بلاد السودان عبر سهل سايس والأطلسَيْن وواحة تافيلالت، وآخر يربط سواحل الأطلسي بمدن المغرب الأوسط وعلى رأسها تلمسان [11](الوزان: 1983, ص 207)، ومع وفرة الزراعة والصناعات اليدوية تنوّعت بضائع أسواقها [12](البكري: ص115، 116، 117)، فَقَدِمتها القوافل محمّلة بالثياب والسلع، وتعود إلى مدنها بأقمشة وأحذية وأغطية رأس تُنسَج خصيصًا بفاس [13](مؤلف مجهول الاسم: ص181).

فغدت حلقة وصل بين الشرق والغرب، والشمال والجنوب، ومجمعًا للتجّار، وتيسّر ترويج مصنوعاتها في البلاد، ووُصفت بقاعدة المغرب الأقصى [14](الحموي: ص230؛ أبو العباس أحمد القلقشندي: 1979 ، ص156) .

ووصف المراكشي: مدينة فاس بقوله: "ولا أعلم بالمغرب مدينة لا تحتاج إلى شيء يُجلبُ إليها من غيرها– إلا ما كان من العطر الهندي– سوى مدينة فاس هذه؛ فإنها لا تحتاج إلى مدينة في شيء، مما تدعو إليه الضرورة، بل هي تُوسع البلاد مرافق [دليل على التوسع العمراني] وتملؤها خيراً" [15](المعجب: ص358، 359)، وأيضاً في

هذا الخصوص يقول الإدريسي: "ومدينة فاس هي حاضرتها الكبرى، ومقصدها الأشهر، وعليها تشد الركائب، وإليها تقصد القوافل، ويجلب إلى حضرتها كل غريب من الثياب والبضائع والأمتعة الحسنة، وأهلها مياسير، ولها من كل شيء حسن أكبر نصيب وأوفر حظ"، وقد أختصت هذه المدينة القريبة منها بصناعة البرانس المديونة التي لا ينفذ منها المطر [16] (الإدريسي: صفة المغرب، 1866 م، ص78، 79)، "وبذلك صارت المدينة تعج بالتجار الذين اتخذوا في أسواقها متاجر لصرف سلعهم وبضائعهم، وانتقل إليها من جميع البلاد القاصية والدانية [القريبة والبعيدة]، فليس من أهل بلد ولا إقليم إلا ولهم بها منزل ومتجر وصناعة ومتصرف، واجتمع فيها ما ليس في مدينة من مدن الدنيا، وقصدتها التجارات، وأهل الصناعات اليدوية، من كل صقع" [17] (ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، 1970، ص140، 141). ولا أدل على أهميتها وعظمة ازدهارها في هذه الفترة من الوصف والإحصائيات الدقيقة التي قدمها لنا صاحب كتاب جنى زهرة الأس: الأسحول ماتوفر بها من مرافق ومنشئات مختلفة، خاصة ما تعلق منها بالجانب التجاري حيث تبين بعد اشارته لشروط ومواصفات المدينة الكاملة المتكاملة يقول: "وقد جمعت مدينة فاس هذه الخصال التي هي كمال المدجن وشرفها، وزادت عليها محاسن كثيرة" [18]"(الجزنائي: 1387هـ/1967م، ص34)، وبلغت في أيام المرابطين والموحّدين وخاصة في عهد المنصور وولده الناصر غاية الغبطة والعمران والرفاه والأمن [19](الجزنائي: ص34، 44).

مدينة أغمات:

كانت العاصمة الأولى قبل مراكش، مزدحمة بالسكان والتجّار، فغدت من أهم المراكز في المغرب الأقصى [20](البكري: ص153)، وتنقسم إلى: أغمات وريكة (سكن الأعيان ومأوى التجّار ومنها تُسلك الصحراء، ومركز لترويج المنتجات المغربية وتصديرها للسودان وتوزيع الواردات) [21](الإدريسي: نزهة المشتاق، ص232)، وترويج السلع القادمة من بلاد السودان وتوزيعها على المدن المغربية، ومدينة أغمات كانت تتحصل على وفرة من الأموال، بحكم أنها تقوم بتصدير النحاس، والأكسية، والثياب، والعمائم، والمآزر، والزجاج، والأصداف من الأحجار والعطر [22](حسن علي: ص272).

غير أنّ القسم الثاني من مدينة أغمات وهي (مدينة أغمات هيلانة) لم تسعفنا المصادر التاريخية التي تم الاطلاع عليها عن طبيعة سكانها وتنوع تجارتها وإن كان التركيز على مدينة أغمات وريكة السابق ذكرها باعتبارها مركزاً تجارياً، وعلاقتها بالمدن المغربية ودول الجوار.

مدينة سجلماسة:

موقعها على مشارف الصحراء جعلها حلقة وصل بين المدن المغربية والسودان؛ على سفح الأطلس الغربي وعلى نهر يَزيد صيفًا كالنيل. قصدها أبناء العراق وتُجّار البصرة والكوفة وبغداد، دُوَام قوافلهم وأرباحهم عظيمة، وأضحت مركزًا لتجارة الذهب، فأقبل عليها التجّار ونشطت الحركة [23](الإدريسي: صفة المغرب، ص60)، وصُرِّفت فيها البضائع المحلية كالقطن والكمّون والكروبا والحِنّاء [24](أحمد: ص86)، وعرف أيضاً أهلها بالثراء [25](ابن حوقل: 1970م، ص90)، وأمّنت الحجّاج.

ولا تُحدّد المصادرُ عهدَ تحوّلها مركزًا تجاريًّا ونقطةَ انطلاق للحجاج. وقد وصفها الحميري بأنها من أعظم مدن المغرب [26](الروض المعطار، ص305؛ مؤلف مجهول الإسم: ص200)، ويصفها القلقشندي بقوله: " مدينة عظيمة إسلامية " [27](صبح الأعشى، ص5)، ويصفها ابن حوقل بقوله: "وسجلماسة مركزاً تجارياً، وبها أرباح متوفرة ورفاق متقاطرة... وأهلها قوم سراة مياسير يباينون أهل المغرب في المنظر والمخبز وأبنيتها كأبنية الكوفة إلى أبواب رفيعة على قصورها مشيدة عالية"

[28](صورة الأرض، ص90)، ويستطرد ابن حوقل: في وصفها مبرزاً دورها التجاري، فشبه القيروان بسجلماسة في "صحة الهواء، ومجاورة البيداء، والتجارة غير المنقطعة منها إلى بلاد السودان، وسائر البلدان وأرباحها المتوافرة، والرفاق المتقاطرة عليها".

مدينة أودغست:

تقع بين صحراء لمتونة والسودان، أول محطة للقوافل القادمة من الجنوب، ونافست سجلماسة زمنًا طويلًا، فتبادلت أسواقها منتجات المغرب بسلع جنوب الصحراء كالعبيد والذهب، وزادت أهميتها لارتباطها بعدة طرق أشهرها (طريق التمر)[29] (ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، ص235).

وقد وصفها الحميري: بأنها مدينة آهلة بالسكان، وتقطنها أجناس مختلفة لكثرة خيراتها وثرواتها وتعدد أسواقها نتيجة رواج تجارتها، على الرغم من صغر مساحتها لوجودها بين جبلين يصعب فيها المرور إلا من جهتين، وتعاني من شح في الماء [30](الروض المعطار، ص63، 64).

كما "تمتاز أسواقها بأنها عامرة على مدار السنة، من حيث الفخامة والاتساع، حتى لا يكاد يسمع الجليس أصوات محدثه، نظراً للازدحام من قبل المتسوقين، وقد اكتسبت مدينة أدوغست شهرة تجارية وأصبحت مركز جذب للتجار، فمنها كانت تجلب الدرق اللمطية، والعنبر الفاخر، والذهب النقي المصنوع على هيئة خيوط مفتولة" [31](الحميري: ص64).

ورغم بُعدها عن دول المتوسّط الغربي فقد أكسبها قربها من السودان وذهبِه ثراءً وذيوعًا، وبلغ ذهبها تلك البلاد نقلًا برّيًّا ونهريًّا ثم بحرًا.

مدينة سبتة:

امتازت بساحليتها على المتوسّط، فأتاح الموقع اتصالَها بالمراكز البحرية وخصوصًا ما تعذّر برًّا؛ فغدت مركزَ تجميعٍ لسلع المدن المغربية وواردات السودان وصادرات البحر، ومرسى للسفن الرائجة تُسَوَّق حمولاتها في الأسواق [32](أحمد: ص92)، وكانت تتلقّى سلعًا عبر فاس وتصدّر بحرًا ثم تُعاد إلى فاس فإلى الداخل [33](المرجع نفسه، الصفحة نفسها)، وربط موقعُها بعضَ المدن كحلقة بين الشرق والغرب [34](البكري: ص115)، ومع النشاط التجاري تكاثَر الوافدون وانتشرت الخدمات من فنادق وأسواق زادت على مائة، وهو ما يعكس حجم السلع وتنوّع الصادر والوارد [35](أحمد: ص93).

ويُفهم من خصائصها أنها مرشّحة للعاصمة لقربها من دول المتوسّط الغربي واتصالها بالداخل المعروف بالزراعة وصناعة السفن.

مدينة تلمسان:

من أهم مدن المغرب الإسلامي في العهد الموحّدي وقاعدة للمغرب الأوسط، تقع عند سفح جبل كثير الجوز (36)(البكري: ص77؛ الحميري: ص135)، واتخذها الرومان قديمًا مستعمرةً وقاعدةً لحراسة القوافل [37](ابن سادات: 2010 / 2011 م، ص164).

والواقع لموقعها الجغرافي فهي تتوسط بلاد المغرب، وتشكل حركة تجارية لكونها حلقة وصل الرابطة بين الجهات الثلاث المغرب الأقصى والمغرب الأدنى والمناطق الصحراوية؛ وأكد على ذلك الحميري في قوله: "وتلمسان أول بلاد المغرب، وهي على طريق الداخل والخارج منه ولا بد من الاجتياز عليها على كل حال"[38] (الروض المعطار، ص135).

وموقع تلمسان جعلها مدينة علم وخير، ولم تزل دار العلماء والمحدثين، وكان هذا المغرب الأوسط قد تَمَلَكه العلويون من بني ادريس وأمرهم مشهور وتملكوا بلاد الأندلس وتسموا بالخلافة، وصارت نقطة تجمع للتجار من مختلف المدن المجاورة ودول حوض البحر المتوسط الغربي، وفتحت الآفاق أمام أهلها في عملية التبادل التجاري (البيع والشراء)، وتصدير انتاجها المحلي خارج المدينة، ولذلك كان أهلها أكثر أموالاً [39](الحميري: الروض المعطار، ص135).

يتضح أن هذه المدينة بسبب موقعها الجغرافي نالت مكانة تجارية وحضارية منذ القدم،

مدينة بجاية

قيامها على جبل مشرف على ساحل المتوسّط وفّر مرسى صالحًا، وأقدمُ ذكرٍ عربيٍّ لها جاء مرسىً قبل ذكرها مكانًا مأهولًا، وتوالت الاشارات الحمّادية السابقة للبناء دالّةً على حياةٍ بشرية [40](ابن السادات: ص165)، هي مدينة عتيقة بالمغرب الأوسط، منحدرة من سفح جبل شاهق على الساحل، تبعد عن طبرقة مرحلة، محصّنة بأسوار، كثيرة العيون، وفيها دور وجوامع ومدارس وزوايا وحمّامات وفنادق ومارستانات، وأسواق حسنة، وكانت عاصمة بني حماد ثم دخلها الموحّدون فالحفصيون حتى احتلّها الإسبان [41](الوزان: ص 50؛ مؤنس: 2003، ص33)، ويقول صاحب الاستبصار:" ولها مرسى عظيم تحط به سفن الروم من الشام وغيرها من أقصى بلاد الروم، وسفن المسلمين وغيرهم، وفي بجاية موضع يعرف "باللؤلؤة " وهو أنف من الجبل قد خرج في البحر متصل بالمدينة فيه قصور من بناء ملوك صنهاجة لم ير الراؤون أحسن منها بناء ولا أنزه موضعاً فيها طاقات مشرفة على البحر عليها شبابيك الحديد والأبواب المخرمة والمجالس المقرصة المبنية حيطانها بالرخام الأبيض من أعلاها إلى أسفلها قد نقشت أحسن نقش وانزلت بالذهب واللازورد، وقد كتبت فيها الكتابات ذات القيمة التاريخية، التي شهدت في تلك الحقبة وصورت فيها الصور الحسنة في منتهى الروعة والجمال، فجاءت من أحسن القصور وأتمها جمالاً " [42](مؤلف مجهول الإسم، ص130)، كما يصفها الإدريسي: بقوله " السفن إليها مقلعة، وبها القوافل منحطة والأمتعة إليها براً وبحراً مجلوبة والبضائع بها نافقة وأهلها مياسير تجار، وبها من الصناعات والصناع ما ليس بكثير من البلاد، وأهلها يجالسون تجار المغرب الأقصى وتجار الصحراء، وتجار المشرق وبها تحل الشدود وتباع البضائع بالأموال المقنطرة" [43](نزهة المشتاق، ص260). وأهم منتوجات المدينة (القمح والحنطة وأشجار الفواكه المختلفة، والمعادن المختلفة (معدن الحديد)، والأخشاب المتوفرة في إنشاء دارين لصناعة المراكب، وإنشاء السفن [44](الحميري: ص80، 81). وبهذه المنتوجات كانت السفن التجارية الكبيرة والصغيرة تقصد ميناءها من كل حدب، ولموقعها وقربها من دول حوض البحر المتوسط الغربي؛ تسهلت عملية التنقل والملاحة البحرية بينها وبين الأندلس وصقلية والجمهوريات الإيطالية وقشتالة [45](مؤلف مجهول الاسم، ص130).

مدينة المهدية:

ازدهرت مبادلاتها مع دول المتوسّط الغربي منذ قدوم عبد المؤمن سنة 555هـ/1160م «سنة الأخماس لكثرة الغنائم»، والقيروان جنوبها على مرحلتين (ستّون ميلًا)، وتنسب إليها الثياب السوسية المهدوية [46](الحموي: ص230)، إحاطة الماء بها من ثلاث جهات جعلتها ذات مرسى مغلق يُدخَل من بوابة السور البحرية «منقور في حجر صلد يسع ثلاثين مركبًا» لحفظ السفن الصغيرة والمتوسطة [47](الحموي: ص231)، ومرسى آخر أكبر للسفن الكبيرة [48](مؤلف مجهوْل الإسم، ص118).

وكل ذلك يدل على قوة أسطولها البحري، وتمركزها تجارياً، وامتداد عملية التبادل التجاري البحري مع دول حوض البحر المتوسط الغربي وتنوع الصادرات والواردات، وأكد على ذلك الإدريسي: فهي " لم تزل ذات إقلاع وحط للسفن الحجازية القاصدة إليها من بلاد المشرق والمغرب والأندلس وبلاد الروم وغيرها من البلاد، وإليها تجلب البضائع الكثيرة بقناطر الأموال على مر الأيام" [49](الإدريسي: نزهة المشتاق، ص218).

يتضح أن هذا الثراء جعلها تزدهر بأسواق مبنية بالصخر الجليل.

مدينة تونس:

أسهمت بإطلالتها على المتوسّط في ترقية المبادلات في العصر الموحّدي، فَنالت مركزًا تجاريًّا متميّزًا، لا يفصلها عن صقلية سوى 140كم. وبينها وبين مرساها بحيرة تحميها من الأخطار وتؤمّن للسفن ملجأ من الرياح والأمواج [50](الحموي، ص60، 61)، وبموقعها ومرساها اتّخذها المنصور الموحّدي مركزًا تجاريًّا للتبادل مع دول المتوسّط الغربي، ولا سيما بيزا بموجب معاهدته آواخر رمضان 582هـ/1186م، ومدّتها 25 سنة [51](رسائل موحدية، رقم 35، ص173، 174).

فتونس صارت مركزًا في المغرب الأوسط وبين المغربين لموقعها المقابل لصقلية والجمهوريات الإيطالية.

ثانياً- المراكز التجارية في الأندلس:

مدينة المرية:

عَظُم شأنها وازدهرت وصارت قاعدة للأقاليم، وبميناءها غدت قاعدة أساسية للأسطول الأندلسي في المتوسّط ومركزًا مهمًّا للتبادل البحري، فتنوع الصادر والوارد بين الأندلس وموانئ المتوسّط الغربي؛ ومنها تُبحر السفن ببضائع الأندلس وتعود بما تحتاجه من واردات[52](أبو الفضل: تاريخ مدينة المرية،1981 م، ص45).

وبلغ عدد الفنادق في المرية تسعمائة وسبعين فندقا، (أي ألف فندق إلا ثلاثين فندقاً)، وكان بها من الطرز أعداد كثيرة، واسترسل كل من الإدريسي والحميري في وصفها: "موضع المرية من كل جهة استدارت به صخور مكدسة وأحجار صلبة مضرسة لا تراب بها كأنما غربلت أرضها من التراب وقصد موضعها بالحجر وللمرية منابر منها: مدينة برجة – ولاية، والأُولى شيدت بها مصانع ومزارع وأسواق"، يرتادها تجار المغرب والأندلس وبلاد المشرق والنصارى"[53](الحميري : صفة جزيرة الأندلس، 1408هـ/ 1988م، ص 184).

ولم تُضاهِها مدينة في موقعها المتوسط واتساع ميناءها وقِيامها بالصادر والوارد، فاستلزم الأمر «ديوان النصارى» وفنادق ووكالات لهم[54](المقري: 1968، ص220)، وأغنى ذلك أهلَها[55](الحميري : صفة جزيرة الأندلس، ص184).

وكان ميناؤها في أوائل القرن السابع الهجري عهد الموحّدين من أوائل موانئ الأندلس التجارية المتعاملة مع أراغون وجنوة وبيزا والبندقية وقشتالة ومرسيليا وغيرها؛ تُفرّغ السفن حمولتها بالمرية وتحمل بضائع أندلسية[56](سالم: 1969م، ص98)، وهذا ما أشاد به كل من المقري- والإدريسي: "وبها كان محط مراكب النصارى، ومجتمع ديوانهم، ومنها كانت تسفر لسائر البلاد بضائعهم، ومنها يوسقون جميع البضائع التي تصلح لهم، وقصد بضبط ذلك بها حصر ما يجتمع في أعشارهم"، ولم يوجد لهذا الشأن مثلها، لكونها متوسطة، ومتسعة، قائمة بالوارد والصادر" ومن أشهر هذه البضائع، لقد اشتهر أهل المرية بتجارة المنسوجات الحريرية والبسط التنتلية (تنسب إلى تنتالة من المرية، وكان يغالي في ثمنها بالمشرق)، والتحف المعدنية التي كانت تصدر إلى المشرق وإلى الجمهوريات الإيطالية (جنوة وبيزا والبندقية)، وبلادالفرنجة (فرنسا)، وقطلونية، وأراغونة، والأواني الخزفية التي اشتهرت بها مدينة المرية على وجه خاص وكانت من عملية التبادل التجاري البحري، بالإضافة إلى تصدير زيت الزيتون إلى المشرق الإسلامي، وكذلك الأواني الخزفية والتحف المعدنية، كانت تصدر إلى بلاد افريقية (تونس)، والمغرب آلات الصفر والحديد من السكاكين والأمقاس الذهبية "[57](نفح الطيب، ص163 - 201، 202؛ نزهة المشتاق، ص562). واشتهرت المدينة بتجارة الرقيق ويشترطون ويقرون لمشتريهم على تقسيم الثمن فيما بينهم[58](السقطي: (د. ت)، ص55).

مدينة اشبيلية:

اتّخذها الموحّدون حاضرة لهم بالأندلس، فاعتنى الخلفاء بتحصينها وبناء قصبتها وجامعها وقصورها، وجلبوا الماء إليها من قلعة جابر. وهي مدينة عظيمة بينَها وبين قرطبة ثلاثة أيام (80 ميلًا)، ذات أسوار وأسواق وعمران قديم شاده (يوليش القيصر) [59](الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص18، 19).

بل إن عملية التبادل للتجارة الإشبيلية قد تضاعفت في عهد الموحدين، وغدت إلى وصف أهلها بأنّهم "مياسير وجُل تجارتهم الزيت يتجهزون به إلى المشرق والمغرب براً وبحراً فيجمع هذا الزيت من الشرف وعامرة بالحمامات والديار الحسنة وبين الشرف وإشبيلية ثلاثة أميال[60] " (الحميري: ص20)، وأن بها "أسواقاً قائمة وتجارات رابحة، وأهلها ذو أموال عظيمة "[61](المقري: ص158، 159).

فموقعها على نهر الوادي الكبير وهو (نهر قرطبة)، المعروف بصعود المد فيه على ارتفاع اثنين وسبعين (72) ميلاً[62](المقري: ص158)، جعل مرساها يعج بحركة تجارية، حيث تتوجه إليه السفن النصرانية وتعود محملة بالصادرات الموحدية، ومن هذه الصادرات: مادة زيت الزيتون الذي انتشرت زراعته في إشبيلية؛ إذ تقدر مساحة بساتين الزيتون بهذه المدينة "بأربعين ميلاً كلها في ظل شجر الزيتون والتين ".

ويعد قصب السكر من المنتجات الأخرى التي، لعبت دوراً في مجال المبادلات التجارية الداخلية والخارجية، ويوجد بكثرة في بساتين تعرف بجنات "المصلى " [63](الحميري: الروض المعطار، ص59)، والدليل على وفرته أن قنطاره كان يباع بمثقالين، والقطن الذي اتنتشرت زراعته في بلاد الأندلس، ويتجهز به التجار إلى افريقية وسجلماسة، وهذا النوع من الصادرات ينعت إلى تنوع وتطور التبادل التجاري بين الدولة الموحدية ودول حوض البحر المتوسط الغربي [64](البكري : ص161؛ الحميري: ص330).

مدينة مرسية:

تقع جنوب شرق أيبيريا على بُعد نحو 64 كم من المتوسّط [65](أبو الفضل: شرق الأندلس في العصر الإسلامي، 1996م، ص43،44)، وكانت من أهم المراكز في العهد الموحّدي، وحاضرة شرق الأندلس بصناعاتها الدقيقة: البُسط التنتلية المصدَّرة إلى المشرق والحُصُر المُخصَّصة لتغليف الجدران [66](المقري: ص220، 221).

ويتبيّن تفرّد أهلها بالصناعات المنزلية. وكان ميناء قرطاجنة من أهم الموانئ المروّجة للصادر والوارد ولوسائل النقل البحري، وفيه دور الصناعة، كما فرضية مرسية مدينة من مدنها تفصلها عن مرسية مسافة أربعين ميلاً في البر، وهي كثيرة الخصب والرخاء المتتابع وجودة السنبل قيل يحصد فيه عن مطرة واحدة [67](الحميري: صفة جزيرة الأنلس، ص151)، وينتمي إلى كورة تدمير نسبة لعبد العزيز بن موسى بن نصير، وترسو به السفن الكبيرة والصغيرة [68](الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص182، 183).

مدينة مالقة:

حازت مكانة بحرية تجارية لقربها من المغرب ووقوعها على خطوط الملاحة الرئيسة، وهي من أهم ثغور الأندلس الجنوبية في العصر الموحّدي، وتوفّرت على منتجات فلاحية وصناعية عَمَرَت أسواقها، ومنها انطلقت المراكب الإسلامية والنصرانية إلى المغرب والمشرق والجمهوريات الإيطالية وبلاد الفرنجة [69](الحموي: ص43).

محملة بالصادرات المالقية ولا وهو التين الربي المستدار بها من جميع الجهات، المنسوب إلى مدينة رية، وهو الاسم القديم لمدينة مالقة، حيث كان يصدر إلى مصر والشام، وكان يباع في بغداد ، وربما وصل إلى بلاد الهند والصين، وهو من أحسن التين طيباً وعذوبة، ولمدينة مالقة ربضان كبيران ربض فنتالة وربض التبانين يقصد بها "الأبار" ماؤها قريب الغور كثير عذب [70](الإدريسي: نزهة المشتاق، ص565؛ المقري:، ص 219). كما ومن الصادرات الموحدية اللوز والحلل الموشية [71](المقري: ص219).

وقد وحّدت السلطة الموحّدية المغربَ والأندلس سياسيًّا بعد القضاء على مهدّدات الطرق، كالعرب الهلالية وبني غانية والنورمان في إفريقية. فبعد غارات بني هلال—التي حدَّت التجارة في العهد المرابطي إلى المغرب الأقصى [72](ابن القطان: (د. ت)، ص9، 10)، أما في عهد الدولة الموحّدية سيطر عليهم في موقعة سطيف سنة538 هـ/1153 م، بقيادة عبد المؤمن بن يوسف،التي انتهت بانتصار الموحدين على العرب الهلالية واخضاعهم للسيادة الموحدية، لأن ذلك يوضح أن الدولة الموحدية وطرقها التجارية أصبحت إلى حد كبير في مأمن من الخصوم، وأيضاً تمكنه من ارجاع مدينة المهدية من النورمان سنة 555هـ/1160م [73](ابن الأثير:199

ص428، 429؛ ابن خلدون: العبر، 1967هـ/ 1968، ص318)، وثورة بني غانية سنة 582هـ/1186 م،حدثت في عهد الخليفة المنصور الموحدي، تمكن الموحدين من القضاء عليها بفضل الخليفة (الناصر)، سنة 598 هـ/1201م [74](جوليان:1985، ص149، 153).

ولا تستكمل دراسة المراكز التجارية بغير النظر إلى الحركة التجارية بين المدن الموحدية.

ثالثاً- عملية التبادل التجاري بين المدن الموحّدية:

أسهمت التجارة الداخلية بين المدن الساحلية والداخلية منذ عهد عبد المؤمن إلى محمد الناصر في ازدهار الاقتصاد، على رغم الأحداث السياسية، إذ انتعشت الأسواق في أقاليم المغرب الأقصى بفضل الاستقرار [75](حسن علي: ص51 – 266)، وكان مبدأ التبادل وفق حاجات الأقاليم هو الغالب [76](حسن علي: ص269)، ويسّر سهولةُ الانتقال بين مراكش وباقي المدن وصولَ السلع؛ فانتقلت منتجات مراكش—كالنحاس والزيت والسكر إلى شتى المدن، ولا سيما فاس التي حافظت على علاقات متميزة معها [77](الزهري: 1968، ص116)، حيث كانت ترد إليها الأحذية وأغطية الرأس والكماليات من مدينة فاس [78](لوتورنو: 1967م، ص138)، بالإضافة إلى مدينة رجراجة التي تصل منها الأكسية الغالية الأثمان يلتحف [اللحاف] بها نساء الحضرة المراكشية [79](ابن سعيد المغربي: بسط الأرض، 4958، ص59)، وكذلك نول لمطة التي كانت ترد منها الدرق اللمطية التي تعد أفضل أنواع الدرق في العصر الموحّدي [80](الزهري: ص118)، فضلاً عن الأكسية اللمطية الغالية الأثمان إذ كان "الزوج الواحد من البرانس اللمطية يباع بخمسين ديناراً" [81](الحميري: الروض المعطار، ص584)، يدل ذلك على الفخامة عند الموحّدين، والظهور بالكيفية والكمية.

وتشير المصادر إلى أنّ تلمسان بقيت مركزًا مهمًّا للإنتاج الحيواني، فمدّت جيشَ يوسف بن عبد المؤمن بألف فرس، وأعانت يعقوب المنصور بنحو سبعمائة فرس سنة 580هـ/1184م [82](ابن عذاري: 1985، ص116). وعزّز النشاطَ التجاري وجودُ شبكة طرقٍ اعتادتها القوافل؛ فارتبطت سجلماسة بوجدة وفاس وتلمسان، وتبادلت السلع: القمح والتمر والزبيب والمنسوجات والمعادن المصنّعة والخرز والملح والذهب والقطن والحِنّاء [83](الهرفي: 1985، ص284، 285)، وصُدِّر صمغ أودغست عبر سجلماسة، وتحوّلت إلى أكبر مستودع للذهب الإفريقي؛ وتنوّعت السلع في أسواقها بين النحاس الأحمر والألبسة الصوفية والعمائم والدروع من جلود الظباء (من لمطة) والتسابيح الزجاجية [84](ناعمي، 1405- 1985، ص168، 169)؛ والصدائف، والعطور، والتمر، والحبوب، والخضروات، مقابل دقيقة الذهب، والعنبر، والذهب الذي كان يصدر على شكل خيوط مفتولة والعاج [85](الحميري: الروض المعطار، ص64).

فهي نقطة عبور إلى مدن عديدة، وتفوقُ معظم مدن المغرب؛ ويُفترَض أن تكون أودغست مركزَ رواج الذهب لقربها من مناجمه؛ ويُؤكِّد مؤرخٌ مجهول أن أفضل الذهب «غيارة»، وأكثره من «كوغة» ببلاد السودان، مدينة تقع على ضفة نهر النيجر تبعد عن بلاد غانة مسافة خمسة وعشرين يوماً [86](الحميري: الروض المعطار، ص504).

وبلغت ثروات تجّار سجلماسة وغيرها مائة ألف دينار (نحو 275–450 كلغ من الذهب الخالص)، وثروات السلطات أربعين ألفًا (نحو 150–180 كلغ).

ويعد حجم المبادلات التجارية السابقة الذكر أحد المؤشرات لمعرفة طبيعة وكثافة النشاط التجاري بين المناطق؛ فقد استمرت في انتعاشها وتطورها، وقد أشارت أحد المصادر التاريخية إلى أنّ قيمة ضرائب المرور بمدينة سجلماسة [87](ناعمي، ص169)، بلغت معدلاً سنوياً حوالي أربعمائة ألف دينار، بالإضافة إلى ذلك الاتفاقيات التي تعقد بين القبائل المغربية والتجّار القادمين من الصحراء؛ كانت توصف بمثابة رسوم جمركية، كما هو متعارف عليه في وقتنا الحاضر، تضاف إلى قيمة ضرائب المرور بالمدينة، ولم تكن علاقات مراكش بالمدن المغربية وحسب، بل امتدت وارتبطت مع سائر المدن الإفريقية (تونس)؛ إذ كانت الأسواق المراكشية تستقبل أصنافاً متعددة من المنسوجات التي تصنع هناك، وبخاصةٍ القطنية والكتانية [88](ابن قنفذ، 1968م، ص68)؛ كذلك الخيول العربية الأصيلة، التي تم استجلابها من تونس إلى مراكش، إبّان العصر الموحّدي، وأمر الخليفة عبدالمؤمن بن علي باستجلاب الخيل له من جميع مدن العدوة الأفريقية"، وقد حصل كذلك مع ابنه يوسف بأن أفريقية سنة 566هـ/1170م أمدته بأربعة آلاف فرس، وقد ذُكر بأنها من الخيل العراب، العتاق الأحساب، المدربة عن العرب" [89](المياح: 2014، ص89)، كما كانت تجلب من المناطق الجبلية البربرية إلى السهول، الزيوت، والفواكه، والأخشاب، والجلود المدبوغة، وسائر منتجات الأراضي الجبلية، والعكس؛ تجلب من السهول إلى نظيرتها الجبلية السمن، والماشية، والصوف وغيرها من المنتوجات، ومما ساعد على رواج التجارة اصلاح الطرق التي تجتاز الجبال، وانشاء القناطر التي تمر منها القوافل [90](حسن إبراهيم: 1982، ص600).

وكانت تلمسان إمارةً غنيّةً بأمنها، فتدفّق إليها مهاجرو الأندلس بأموالهم فتحوّلت مركزًا كبيرًا وتخرج التجارة من موانئها وهران وأرشقول وقليلة إلى سجلماسة ثم تتفرّع إلى السوس وتمبكتو وأدار وتاوربرت، وتردّ إليها التبر وجلود اللمط وسنّ الفيل وريش النعام والخشب والملح، وتُصدِّرها أوروبا، وتستورد السيوف وآلة الحرب والحديد وبعض النسيج والورق [91](مؤنس: ص 32)

ويسوق كاتبٌ محدث واقعةَ تاجرٍ تُوفّي وخلّف ثلاثة آلاف دينار أوصى بها لتسليمها لورثته بتونس، فانتزعها حاجب بجاية للحفصيين وهم فـَرع موحّدي الأصل في إشارةٍ إلى مظالم عمّالهم [92](مؤنس: ص34).

كما إنّ وقوع مدينة تاهرت على طريقين من أشهر الطرق التجارية في ذلك الوقت طريق الغرب والشرق، وطريق الشمال والجنوب قد هيأ لها أن تكون مركزاً للتبادل التجاري بين المغرب وسواحل البحر المتوسط الغربي، وقد تطورت الحركة العمرانية بشكل سريع نتيجة الازدهار الاقتصادي الذي صاحب تأسيسها خصوصاً الحركة التجارية التي جلبت إلى المدينة الناس من كل الآفاق، وهذا مايشير إليه بن الصغير: "واستُعملت السبل إلى جميع البلدان بالتجارة وضروب الأمتعة فأقاموا على ذلك والعمارة زائدة والناس والتجار من الأقطار تاجرون "[93](ابن الصغير: (د. ت)، ص35، 36)، كادت تكون مدينة تاهرت نموذجاً للحياة التجارية القوية في بلاد المغرب، حيث غدت تاهرت بأسواق عامرة بمختلف البضائع، وتحولت بعض الأسواق إلى مدن بارزة؛ لذلك نجدها تعرف بالأسواق كمدينة سوق إبراهيم أو مدينة كرام، وقد تحدث ابن حوقل: عن الثراء الاقتصادي الذي تتمتع به المدينة "فقال: "وهي أحد معادن الدواب والماشية والغنم والبغال والبراذين الفراهية، ويكثر عندهم العسل والسمن وضروب الغلات" [94](صورة الأرض، ص86).

وذكر الإدريسي: "الزارع الواسعة" بقوله: "ولهم على هذه المياه بساتين وأشجار تحمل ضروب من الفواكه الحسنة " [95](نزهة المشتاق، ج1، ص256) ، وعنها يقول البكري: "وفيها جميع الثمار وسفرجلها يفوق سفرجل الآفاق حسنا وطعما ومشما وسفرجلها يسمى بالفارس" [96](المغرب، ص67)، نتيجةً للغنى الاقتصادي والتجاري قد أسهم الأئمة بدور كبير في تنشيط الحركة التجارية، فقد اشتغل بعضهم بالأعمال التجارية ومن هولاء الإمام عبد الوهاب الذي كان يملك العديد من

القوافل التجارية المتجهة إلى جميع المدن المجاورة: ولم يكتف الإئمة بالمشاركة الفعلية في الأعمال التجارية، وإنما قدموا التسهيلات اللازمة للتجار، وعمدوا على تنظيم الأسواق إعفاء بضائعهم من الرسوم[97](ابن الصغير: 198).

كما ساعد موقعها على نموّ الثروة الحيوانية وازدهار التجارة الخارجية وظهور الأثرياء. وتوزّعت بضائع المرية في الأندلس ثم منها إلى المغرب، وجُلِب إلى دانية خشبُ الصنوبر من قلصة إلى شقر فحصن قلبيرة ثم شُحن إلى دانية لصناعة السفن، ولِقُرب مالقة من العدوة وتواصلها التجاري عبر بحر الزقاق تضاعفت حركة الصادر والوارد، فحملت السفن الفخار المذهّب والحرير [98](القلقشندي: ص219،218)، والمحامل الحريرية الموشّاة بالإبريز لحفظ المصاحف وكتب الحديث [99](العبادي: 1983 م، ص122- 127)، ولتفشي الترف أصدر يعقوب المنصور منعَ بيع الألبسة الحريرية الغالية [100](ابن الأزرق:1429هـ/ 2008م، ص235).

يتضح أن الخليفتين المنصور وعبد المؤمن أكثر الخلفاء الموحدين جاهدوا؛ حرصاً على تطبيق الشريعة الإسلامية وحفاظاً على سمعة الإسلام وتطبيق تعاليمه واقتداء بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم.

خريطة (1) توضح المراكز التجارية في المغرب الإسلامي وبلاد الأندلس

نقلاً: عن Google maps

وعلى الجملة؛ أولت دولة الموحّدين عنايةً بتنشيط التجارة الداخلية بفتح الطرق البرّية والممرّات الجبلية والنهرية، وأنشأت على هذه الطرق مراكز في مراكش وفاس وأغمات وسجلماسة وأودغست وسبتة وتلمسان ووهران وبجاية وتاهرت وتونس والمهدية ومرسية وإشبيلية والمرية ومالقة وقرطبة وغيرها، فازدادت الحركة الداخلية وانتشرت الأسواق والمرافق التجارية في مدن الدولة.

الخاتمة:

أثبتت نتائج الورقة البحثية أنّ الدولة الموحّدية أعادت هيكلة الجغرافيا التجارية عبر تراتبية دقيقة لمراكز حضرية مينائية أدّت دور «العُقد» في شبكة التبادل؛ بما ضاعف من تدفقات الصادر والوارد، ورفع كفاءة الانتقال من العمق الداخلي إلى الواجهات البحرية. وقد تبيّن أن تحوير الأطر التنظيمية (الحِسبة والأعشار) وتطوير البنى المينائية والأسواق والقيساريات، إلى جانب دور الصناعة، شكّل رافعة مؤسسية عزّزت تنافسية الموانئ الموحّدية بالأندلس والمغرب، ورسّخت أمن الملاحة بعد كبح التهديدات الإقليمية. كما أبرزت الدراسة أنّ التبادل التجاري البحري لم يكن نشاطًا اقتصادياً فحسب؛ بل أداة استراتيجية لتوطيد السلطة، وترسيم توازنات القوى في حوض البحر المتوسط، وادماج المجال المغاربي الأندلسي في دوائر الاقتصاد المتوسطي الوسيط.

وتقترح الورقة، في ضوء ما تقدّم؛ توسيع البحث المقارن بين سجلات الأعشار والمراسي والاتفاقات التجارية في الأرشيفات الأوروبية من جهة، والمصادر الجغرافية والفقهية والإدارية العربية من جهة أخرى، وتحليل سلاسل الإمداد التي ربطت المناجم والحقول والورش بالأسواق والمرافئ. كما تدعو إلى دراسات كمية (سيريز longue durée) لقياس تطوّر أحجام التبادل ومرونتها أمام الصدمات السياسية والعسكرية. بذلك، تسهم هذه الورقة في إعادة قراءة دور المراكز التجارية الموحّدية بوصفها محرّكات بنيوية للتكامل الاقتصادي والأمن الملاحي في الغرب الإسلامي والأندلس خلال العصر الموحّدي.

الهوامش

1. عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، دار صادر، بيروت، 2000، ص456، 457.
2. الإمام شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت الرومي البغدادي الحموي: معجم البلدان،ج5، دار صادر، بيروت، 1997م، ص94؛ الشيخ أبو العباس أحمد بن عبد الوها**ب الناصري: الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج2، تح: جعفر الناصري - محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997، ص22، 3 2؛ عبد السلام محمد هارون: معجم مقيدات ابن خلكان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1407 هـ / 1987 م.
3. حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، عصر المرابطين والموحّدين، مكتبة الخافجي، مصر، 1980م ، ص269.
4. أبو عبدالله بن محمد الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 1994م، ص234.
5. الإدريسي: المصدر نفسه، ج1، ص233، 234؛ محمد بن عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، معجم جغرافي، تح: إحسان عباس، دار القلم للطباعة، مؤسسة ناصر، لبنان، (د. ت)، ص540.
6. مؤلف مجهول الاسم: كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، ، تح: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة آفاق عربية، العراق، (د. ت)، ص210.
7. مؤلف مجهول الاسم: المصدر نفسه، الصفحة نفسها؛ الحميري: الروض المعطار، ص541.
8. مؤلف مجهول الاسم: الاستبصار، ص210؛ عبدالواحد بن علي المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد زينهم - محمد غرب، دار الفرجاني، طرابلس، 1994م ، ص260.
9. أبو عبيدالله البكري: المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب - جزء من المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد، (د. ت) ، ص161، 162؛ الحميري: الروض المعطار، ص71.
10. الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص244؛ الحميري: الروض المعطار، ص434، 435.
11. الحسن بن محمود الفاسي الوزان: وصف أفريقيا، ج 1، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983, ص 207.
12. البكري: المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص115، 116، 117.
13. مؤلف مجهول الاسم: كتاب الاستبصار، ص181.
14. الحموي: معجم البلدان، ج4، ص230؛ أبو العباس أحمد القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج5، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، 1979 ، ص156.

15. المعجب: ص358، 359.
16. أبو عبدالله بن محمد الإدريسي: صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذة من نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، بريل، ليدن، 1866 م، ص78، 79.
17. أبو الحسن علي بن موسى ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، تح: إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري، بيروت، 1970، ص140، 141.
18. علي الجزنائي: جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، المطبعة الملكية، الرباط، 1387هـ/1967م، ص34.
19. الجزنائي: المصدر نفسه، ص34، 44.
20. البكري: المغرب، ص153؛ مؤلف مجهول الاسم: الاستبصار.
21. الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص232.
22. حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية، ص272.
23. الإدريسي: صفة المغرب، ص60.
24. إبراهيم فتحي أحمد: النشاط التجاري في دولة المرابطين في المغرب الأقصى (448- 541هـ/ 1056- 1146)، رسالة ماجستير، ص86.
25. أبو القاسم ابن حوقل: صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1970م، ص90.
26. الروض المعطار، ص305؛ مؤلف مجهول الإسم: الإستبصار، ص200.
27. صبح الأعشى، ص5.
28. صورة الأرض، ص90.
29. ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، ص235.
30. الروض المعطار، ص63، 64.
31. الحميري: المصدر نفسه، ص64.
32. إبراهيم فتحي أحمد: النشاط التجاري في دولة المرابطين، ص92.
33. إبراهيم فتحي أحمد: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
34. البكري: المغرب، ص115.
35. إبراهيم فتحي أحمد: النشاط التجاري في دولة المرابطين، ص93.
36. البكري: المغرب، ص77؛ الحميري: الروض المعطار، ص135.
37. ابن سادات نصر الدين: العلاقات السياسية والصلات الاقتصادية بين المغربين الأوسط والأدنى- من نهاية القرن الثاني إلى أواسط القرن السادس الهجريين، رسالة دكتوراه، جامعة وهران، 2010 / 2011 م، ص164.
38. الروض المعطار، ص135.
39. الحميري: المصدر نفسه، ص135.
40. ابن السادات: العلاقات السياسية والصلات الإقتصادية ، ص165.
41. الوزان: وصف أفريقيا، ج2، ص 50؛ حسين مؤنس: ابن بطوطة ورحلاته تحقيق ودراسة وتحليل، منشورات دار المعارف، القاهرة ، 2003، ص33.
42. مؤلف مجهول الإسم، ص130.
43. نزهة المشتاق،ج1، ص260.
44. الحميري: الروض المعطار، ص80، 81.
45. مؤلف مجهول الاسم، ص130.
46. الحموي: معجم البلدان، ج5، ص230.

47. الحموي: المصدر نفسه، ج5، ص231.
48. مؤلف مجهول الإسم، ص118.
49. الإدريسي: نزهة المشتاق،ج1، ص218.
50. الحموي، معجم البلدان، ج2، ص60، 61.
51. رسائل موحدية، ج1، تح: أحمد عزاوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة، دار البيضاء، رقم 35، ص173، 174.
52. محمد أحمد أبو الفضل: تاريخ مدينة المرية الأندلسية في العصر الإسلامي - 344 - 484 هـ/ 900 – 1091 م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1981 م، ص45.
53. محمد بن عبد المنعم الحميري : صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب (الروض المعطار في خبر الأقطار) معجم جغرافي تاريخي، ط2، دار الجبل، بيروت، 1408هـ/ 1988م، ص 184.
54. أحمد بن محمد التلمساني المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الطيب وذكر وزيرها لسان الدين، ج3، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968.
55. الحميري : صفة جزيرة الأندلس، ص184.
56. السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، 1969م، ص98.
57. نفح الطيب، ج1، ص163 - 201، 202؛ نزهة المشتاق، ج2، ص562.
58. أبو عبد الله محمد بن أبي محمد السقطي المالقي الاندلسي: في أداب الحسبة، (د. ن)، (د. م)، (د. ت)، ص55.
59. الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص18، 19.
60. الحميري: المصدر نفسه، ص20.
61. المقري: نفح الطيب، ج1، ص158، 159.
62. المقري: المصدر نفسه، 158.
63. الحميري: الروض المعطار، ص59.
64. البكري : المغرب ، ص161؛ الحميري : الروض المعطار ، ص330.
65. محمد أحمد أبو الفضل: شرق الأندلس في العصر الإسلامي (515- 686 هـ/1121- 1287) دراسة التاريخ السياسي والحضاري، دار المعرفة الجامعية ، (د. م)، 1996م، ص44،43.
66. المقري: نفح الطيب، ج 3، ص220، 221.
67. الحميري: صفة جزيرة الأنلس، ص151.
68. الحميري: المصدر نفسه، ص182، 183.
69. الحموي: معجم البلدان، ج5، ص43.
70. الإدريسي: نزهة المشتاق،ج2، ص565؛ المقري: نفح الطيب، ج3، ص 219.
71. المقري: نفح الطيب، ج1، 152، ج3، ص219.
72. علي بن محمد بن عبد الملك ابن القطان: نظم الجمان، تح: محمود علي مكة، (د. ن)، الرباط، (د. ت)، ص9، 10.
73. عزالدين بن أبي الحسن ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مج9، دار صادر، بيروت،199 ص428، 429؛ المراكشي: المعجب، ص192، 193؛ عبد الرحمن ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج6، ط3، الكتاب اللبناني، بيروت، 1967هـ/ 1968، ص318.
74. شارل اندري جوليان: تاريخ افريقيا الشمالية تونس – الجزائر – المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830، تع: محمد مزالي – البشير بن سلامة،ط3، الدار التونسية للنشر، (د. م)، 1985، ص149، 153.
75. حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية، ص51 - 266.

76. حسن علي حسن: المرجع نفسه، ص269.
77. أبوعبدالله بن أبي بكر الزهري: كتاب الجغرافية، تح: محمد الحاج الصادق، مكتبة الثقافة الدينية، دمشق، 1968، ص116.
78. روجيه لوتورنو: فاس في عصر بني مرين، تح: نقولا زيادة: مكتبة لبنان بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بيروت - نيويورك، 1967م، ص138.
79. ابن سعيد المغربي: بسط الأرض في الطول والعرض، تح: خوان قرنيط خينس: معهد مولاي الحسن، تطوان، 4958، ص59.
80. الزهري: كتاب الجغرافية، ص118.
81. الحميري: الروض المعطار، ص584.
82. المراكشي ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب- ق الموحدين، تح: محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، دار الثقافة والتوزيع، دار البيضاء، 1985، ص116.
83. محمد سليمان سلامة الهرفي: دولة المرابطين في عهد على بن يوسف بن تاشفين، دراسة سياسية وحضارية، دار الندوة الجديدة، بيروت، 1985، ص284، 285.
84. مصطفى ناعمي، **أهمية التجارة بالنسبة للبنية الاقتصادية والاجتماعية غرب الصحراء بلاد تكنه**، مجلة البحث العلمي يصدرها المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 35 – 1405- 1985، جامعة محمد الخامس، المملكة المغربية، ص168، 169.
85. الحميري: الروض المعطار، ص64.
86. الحميري: الروض المعطار، ص504.
87. مصطفى ناعمي، **أهمية التجارة بالنسبة للبنية الاقتصادية والاجتماعية غرب الصحراء بلاد تكنه**، ص169.
88. أحمد بن حسين بن علي الخطيب بن قنفذ القسنطيني: أُنس الفقير وعز الحقير، تح: محمد الفاسي - أدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1968م، ص68.
89. مشتاق كاظم المياح: مراكش خلال عصر الموحدين دراسة في الحياة الإجتماعية، دار مكتبة عدنان، بغداد، 2014، ص89.
90. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، العصر العباسي الثاني في الشرق والمغرب والأندلس (447- 656هـ/ 1055- 1258م)، ط2، ج4، مكتبة النهضة المصرية، (د. م)، 1982، ص600.
91. حسين مؤنس: بن بطوطة ورحلاته، ص 32.
92. حسين مؤنس: المرجع نفسه، ص34.
93. ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين القرن الثالث الهجري، تح: محمد ناصر – إبراهيم بحار، دار الغرب الإسلامي، (د. م)، (د. ت)، ص35، 36.
94. صورة الأرض، ص86.
95. نزهة المشتاق، ج1، ص256.
96. المغرب في ذكر بلاد افريقية المغرب، ص67.
97. ابن الصغير: أخبار الأئمة الرسمتيين، 198.
98. القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص219،218.
99. أحمد مختار العبادي: مشاهدات لسان الدين الخطيب في بلاد المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية ، (د. م)، 1983 م، ص122- 127.
100. أبو عبد الله بن الأزرق: بدائع السلك في طبائع الملك، ج2، تح: علي سامي النشار، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1429هـ/ 2008م، ص235.

المصادر والمراجع:

1. ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن: ت (630هـ/1233م)، الكامل في التاريخ، مج9، دار صادر، بيروت، 1995.

2. الإدريسي، أبو عبدالله بن محمد: ت (560 هـ/ 1166م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، 2، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 1994م.

3. ـــــــــــــــ: وصف أفريقيا الشمالية والصحراوية من كتاب نزهة المشتاق،تح: ونشر هنري بيريس، (د.ن)، الجزائر، 1957 م.

4. ابن الأزرق، أبوعبدالله: ت (896هـ/1490م)، بدائع السلك في طبائع الملك، ج2، تح: علي سامي النشار، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1429هـ/2008.

5. البكري، أبو عبيدالله: (عبدالله) ت (487 هـ/ 1094م)، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب- جزء من المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد، (د. ت).

6. الجزنائي، علي: ت (760هـ/1390م)، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، المطبعة الملكية، الرباط، 1387 هـ/1967 م.

7. ابن حوقل النصي، أبو القاسم: ت (375 هـ/990م)، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1970م.

8. الحموي، الإمام شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت الرومي البغدادي: ت(626 هـ/1229م)، معجم البلدان، ج2، 5، دار صادر، بيروت،1997م.

9. الحميري، محمد بن عبدالمنعم: ت(827هـ/1424م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، معجم جغرافي، تح: إحسان عباس، دار القلم للطباعة، لبنان، مؤسسة ناصر، (د. ت).

10. ـــــــــــــــ صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب (الروض المعطار في خبر الأقطار) معجم جغرافي تاريخي ، ط2، دار الجبل ، بيروت – لبنان، 1408 هـ / 1988 م .

11. العبادي، أحمد مختار: مشاهدات لسان الدين الخطيب في المغرب والأندلس، تح: أحمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1983م.

12. ابن خلدون، عبدالرحمن: ت (808 هـ/ 1405م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مج1، مج6، ق1، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت- لبنان، ط3، 1967.

13. ـــــــــــــــ: مقدمة ابن خلدون، دار صادر، بيروت،2000.

14. رسائل موحدية مجموعة جديدة، تح: أحمد عزاوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة، دار البيضاء،2001.

15. الزهري، أبو عبدالله بن أبي بكر: (ت في أواسط ق 6هـ/ق12م)، كتاب الجغرافيا، تح: محمد الحاج الصادق، مكتبة الثقافة الدينية، دمشق، 1968م.

16. ابن سعيد المغربي، أبو الحسن علي بن موسى: ت (685 هـ/ 1286 م)، كتاب الجغرافيا، تح: إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري، بيروت، 1970م.

17. ـــــــــــــــ: بسط الأرض في الطول والعرض، تح: خوان قرنيط خينيس، معهد مولاي الحسن، تطوان، 1958م.

18. السقطي المالقي، لأبي عبدالله محمد بن أبي محمد المالقي الأندلسي: كتاب في آداب الحسبة، (د.ن)،(د.م)،(د.ت).

19. ابن الصغير، المالكي (عاصر الدولة الرستمية في القرن الثالث الهجري) أخبار الأئمة الرستميين، تح: محمد ناصر – إبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، 1406 هـ/ 1986 م.

20. ابن القطان، علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي: ت (628 هـ/ 1230 م) نظم الجمان، تح: محمود علي مكة، (د.ن)، الرباط،

(د.ت).

21. القلقشندي، أبو العباس أحمد: ت(821 هـ/ 1418م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج5، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، 1979.

22. ابن قنفد، أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب القسنطيني: ت(807هـ/1404م)، أنس الفقير وعز الحقير، تح: محمد الفاسي- اودلف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1968م.

23. المراكشي، ابن عذراي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ق: الموحدين، تح: محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، دار الثقافة للنشر والتوزيع، دار البيضاء، 1985.

24. المراكشي، عبدالواحد بن علي: ت (647 هـ/1249م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد زينهم - محمد غرب، طرابلس، دار الفرجاني، 1994م.

25. المقري، أحمد بن محمد التلمساني: ت(1041هـ/1631م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج1، 3، تح: إحسان عباس، دار صادر بيروت، 1968 م.

26. مؤلف مجهول الاسم: (كاتب مراكشي من كتاب القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي)، الاستبصار في عجائب الأمصار، تح: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة آفاق عربية، العراق،(د.ت).

الناصري، الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، مج1، ج2، تح: جعفر الناصري، محمد الناصري، ت(1228هـ/1822م)، دار الكتاب، الدار البيضاء،1997م.

27. الوزان، الحسن بن محمود الفاسي: ت(944 هـ/ 1537م)، وصف أفريقيا، ج2، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983.

ثانياً - المراجع العربية:

1. أبو الفضل، محمد أحمد: شرق الأندلس في العصر الإسلامي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996م.
2. ـــــــــــــــ تاريخ مدينة المرية الأندلسية في العصر الإسلامي - 344 -484 هـ / 900 – 1091 م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1981 م.
3. حسن، حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، العصر العباسي الثاني في الشرق والمغرب والأندلس،(447هـ-656هـ/1055-258)، ج4، ط2، مكتبة النهضة المصرية، (د. م)، 1982م.
4. حسن، حسن علي: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، عصر المرابطين والموحّدين، مكتبة الخافجي، مصر،1980م.
5. سالم، السيد عبدالعزيز: تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، 1669م.
6. العبادي، أحمد مختار: مشاهدات لسان الدين الخطيب في المغرب والأندلس، تح: أحمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1983م.
7. مؤنس،حسين: ابن بطوطة ورحلاته تحقيق ودراسة وتحليل، دار المعارف، القاهرة، (د. ت).
8. المياح، مشتاق كاظم: مراكش خلال عصر الموحّدين دراسة في الحياة الاجتماعية، دار مكتبة عدنان، بغداد، 2014م..
9. الهرفي، محمد سليمان سلامة: دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين، دراسة سياسية وحضارية، دار الندوة الجديدة، بيروت، 1985م.

ثالثاً: المراجع المعربة:

1. جوليان، شارل اندري: تاريخ إفريقيا الشمالية تونس- الجزائر-المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830م، ج2، تع: محمد مزالي- البشير بن سلامة، ط3، الدار التونسية للنشر،(د.م)، 1985م.
2. لوتورنو، روجيه: فاس في عصر بني مرين، تر: نقولا زيادة، نشر وتوزيع مكتبة لبنان بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بيروت- نيويورك،1967م.

رابعاً: دوائر المعارف والدوريـات:

1. ناعمي، مصطفى، **أهمية التجارة بالنسبة للبنية الاقتصادية والاجتماعية غرب الصحراء بلاد تكنة**، مجلة البحث العلمي يصدرها المعهد الجامعي للبحث العلمي الرباط،35- 1405 -1985م، جامعة محمد الخامس، المملكة المغربية.

خامساً- الرسـائل العلمية:

1. أحمد، إبراهيم فتحي، النشاط التجاري في دولة المرابطين في المغرب الأقصى(448-541هـ/1056م-1146م)، رسالة ماجستير، 2005م.

ابن سادات نصر: العلاقات السياسية والصلات الإقتصادية بين المغربين الأدنى والأوسط – من نهاية القرن الثاني إلى أواسط القرن السادس الهجرين، دكتوراه، جامعة وهران –